الفصل الثاني

أمة الإسلام خير أمة أخرجت للناس
وذكر بعض الأمم السابقة

﴿ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّـهُ يُرِيـدُ
ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ (١٠٨) وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ
وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ (١٠٩) كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ
تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنْ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَـوْ
آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمْ
الْفَاسِقُونَ (١١٠) لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلا أَذًى وَإِنْ يُقَاتِلُوكُـمْ
يُوَلُّوكُـمْ الأَدْبَارَ ثُمَّ لا يُنْصَرُونَ (١١١)﴾ [آل عمران] .

obeikandl.com

obeikandl.com

القسم الأول
تعريفـــات

الأمة في اللغة العربية : القرن من الناس ؛ يقال : قد مضت أمم أي قرون ، وأمة كل نبي : من أرسل إليهم من كافر ومؤمن . يقول الليث : كل قوم نسبوا إلى نبي فأضيفوا إليه فهم أمته .

وقيل : أمة محمد ﷺ : كل من أرسل إليه ممن آمن به أو كفر ، قال : وكل جيل من الناس هم أمة على حدة .

وقال غيره : كل جنسٍ من الحيوان غير بني آدم أمَّة على حدة .

والأمة : الجيل والجنس من كل حي . وفي التتريل العزيز : ﴿ **وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِـــي الأَرْضِ وَلا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ**﴾ [الأنعام : ٣٨] ومعنى قوله (إلاَّ أمم أمثالكم) في معنى دون معنى يريد ــ والله أعلم ــ أن الله خلقهم وتعبدهم بما شاء أن يتعبدهم من تسبيح وعبـــادة . علمها منهم و لم يفقهنا ذلك .

وكل جنس من الحيوان أمة . وفي الحديث الشريف : " لولا أن الكلاب أمة من الأمم لأمرت بقتلها ، ولكن اقتلوا منها كل أسود بهيم " وفي رواية " لولا أنها أمة تسبح لأمرت بقتلها " يعنى بها الكلاب .

والأم كالأمة ؛ وفي الحديث : " إن أطاعوهما (يعني أبا بكر وعمر) رضي الله عنهما رشدوا ورشدت أمهم " وقيل : هو نقيض قولهم : " هدت أمَّة " في الدعاء عليه .

وكل من كان على دين الحق مخالفاً لسائر الأديان : فهو أمة واحدة ، وكان إبراهيم خليـــل الرحمن على نبينا وعليه السلام " أُمَّة " .

والأمـــة : الرجـــل الذي لا نظير له . ومنها قولـــه تعالى : ﴿ **إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًـــا لِلَّهِ**﴾ [النحل : ١٢٠] .

وقال أبو عبيدة : كان أمة أي إماماً " . أبو عمر الشيباني : إن العرب تقول للشيخ إذا كـــان باقي القوة : فلان بأمة معناه راجع إلى الخير والنعمة ، لأن بقاء قوته من أعظم النعمة .

وأصل هذا الباب كله من القصد : يقال : أممت إليه : إذا قصدته . فمعنى الأمة بالـــدين أن مقصدهم مقصد واحد . ومعنى الأمة في النعمة إنما هو الشيء الذي يقصده الخلق ويطلبونه .

obeikandl.com

ويروى : ذو أمَّة : فمعناه ذو دين .

وقال ابن القطاع : الأمَّة : الملك ، والأمَّة : اتباع الأنبياء ، والأمة : الرجل الجامع للخير والأمَّة : الجماعة ؛ قال الأخفش : هو في اللفظ واحد وفي المعنى جمع ، وقوله في الحديث " إن يهود بني عوف أمة من المؤمنين " يريد بالصلح الذي وقع بينهم وبين المؤمنين كجماعة منهم كلمتهم وأيديهم واحدة . وأمَّةُ الله : خلقه . يقال : ما رأيت من أمَّةِ الله أحسن منه .. [1] .

أمَّة : هي الكلمة التي وردت في القرآن الكريم للدلالة على شعب أو جماعة . والآيات التي وردت فيها كلمة أمَّة – وجمعها أمم – في القرآن مختلفة المعنى ؛ بحيث لا يمكن تحديد معناها بالتدقيق ، على أنه مما لا شك فيه أنها تدل دائماً على فئة أو طائفة من الناس تربطهم أواصر الجنس أو اللغة أو الدين ، وهم داخلون فيمن سيحاسبهم الله تعالى على ما كسبوا في هذه الحياة الدنيا . ونجد دلائل تؤيد هذا المعنى حتى في الآيات التي وردت فيها كلمة أمة ؛ من غير نسبة إلى شيء ما مثل آية ١٦٤ من سورة الأعراف وآية ٢٣ من سورة القصص . ويطلق لفظ الأمة للدلالة على الجيل في آيات متفرقة (الأعراف آية : ٣٨) وسورة فصلت ٢٥ وسورة الأحقاف ١٨ ، بل وعلى جميع الكائنات الحية (الأنعام : ٣٨) ، ويراد بهذا اللفظ – عند إطلاقه – دائماً على هذه الكائنات؛ أنها داخلة فيمن سيحشرون للحساب ، وأنها أهل الجزاء وأطلق لفظ الأمة شذوذاً في آية واحدة (النحل آية : ١٢٠) للدلالة على فرد هو إبراهيم عليه السلام . ومعنى لفظ الأمة هنا أيضاً الإمام كما يقول علماء اللغة ، أو أن إبراهيم سمي أمة بصفته رئيس الجماعة التي أنشأها . وذلك بإطلاق لفظ الكل على الجزء . وفيما عدا هذا يدل لفظ الأمة دائماً على جماعات كبيرة ، أو على الأقل على جماعات تنطوي في غيرها أكبر منها [2] .

---

(١) انظر : لسان العرب ١/ص ١٠٢ – ١٠٣ مادة (أمَّة) .

(٢) ادعى الكاتب أن كلمة " أمَّة" التي وردت في آيات القرآن الكريم لا يمكن تحديد معناها بالتدقيق . وهذا مما يعذر فيه،فإنه يبحث في لغة غير لغته،ولن يصل إلى تحقيق ألفاظها ومعانيها.وإلاّ فالأصل معنى الكلمة محدود،واختلاف المراد بها في الآيات مرجعه إلى القرائن الدالة على المعنى الذي هو داخل في المعنى الأصلي للكلمة.وهاك مثالاً لذلك قول الإمام الراغب الأصفهاني في المفردات ص ٢١ :

الأمة : كل جماعة يجمعهم أمر ما : إما دين واحد ، أو زمان واحد ، أو مكان واحد ، سواء أكان ذلك الأمر الجامع تسخيراً أم اختياراً ، وجمعها أمم . وقوله تعالى : ﴿ **وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ** ﴾ أي كل نوع منها على طريقة قد سخرها الله عليها ، فهي بين ناسجة كالعنكبوت ، وبانية كالرفة ، ومدخرة كالنملة ، ومعتمدة على قوت وقته كالعصفور والحمام .. إلى غير ذلك من الطبائع التي تخصص بها كل نوع . وقوله تعالى : ﴿ **كان الناس أمة واحدة** ﴾ أي صنفاً واحداً وعلى طريقة واحدة في الضلال والكفر . ثم قال تعالى ﴿ **إن إبراهيم كان أمة قانتاً لله** ﴾ أي قائماً مقام جماعة في عبادة الله ، نحو قولهم فلان في نفسه قبيلة ، وروي عن رسول الله ﷺ : " يحشر زيد بن عمرو بن نفيل أمةً وحدة " حاشية للدكتور محمد أحمد شاكر – تعليقاً على ما ورد في الأصل من كتاب دائرة المعارف الإسلامية مجلد ٢ ص ٦٣١ – ٦٣٢ نقل بعض نصوصها بتصرف ، يحسن الرجوع إلى المادة " الأمة " الأصل والحواشي المتعلقة بها بالكتاب المذكور .

obeikandi.com

لم تتمكن دائرة المعارف الإسلامية من استيفاء المعاني لكلمة الأمة في القرآن الكريم ، وتخبط المؤلفون في استدلال معاني الآيات التي وردت فيها كلمة أمة كما ورد في السابق . لقد وردت كلمة أمة في القرآن الكريم في موضع النصب (أمةً) في أربعة عشر موضعاً قال تعالى : ﴿ **وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ** (١٢٧) **رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ** (١٢٨) **رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ** (١٢٩)﴾[البقرة] .

وهذه دعوة سيدنا إبراهيم عليه السلام لذريته من إسماعيل ، لتكون الأمة التي يقع عليها الاختيار ، لتكون خير أمة أخرجت للناس ، فهي أمة من العرب دعا إبراهيم عليه السلام أن يكون الرسول فيها ليعلمها الكتاب (القرآن الكريم) ، والحكمة ولتسمو وتتزكى عن غيرها من الأمم .

وقال تعالى: ﴿ **وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ** (١٤٣) ﴾ [البقرة] .

وهذه هي الأمة التي اختارها الله تعالى استجابة لدعوة إبراهيم أمة الوسط والشهيدة على الناس والرسول شهيداً عليها وهي الخيرة بين الأمم ، استجاب الله تعالى دعاء إبراهيم بعد ألفين وخمسمائة عام تقريباً ، فكان هذا الوصف المبدع لأمة الإسلام ، ومعنى الآيتين واضح في تعبير الأمة عن الفئة المؤمنة الخيرة من ذرية إبراهيم عليه السلام وابنه إسماعيل ، وهي خير أمة أخرجت للناس قال تعالى : ﴿ **كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ** (٢١٢) ﴾[البقرة] الناس جميعاً أمة ، بعث الله تعالى النبيين بالكتب ليحكم بينهم بالحق ، وبما اختلفوا فيه ، والاختلاف جاء بعد أن أوتوا الكتاب ، لكن الله تعالى هدى الذين آمنوا وأبعدهم عن الاختلاف ، وأظهر لهم الحق بإذنه ، فكانت بعد ذلك أمة الهداية خير أمة أخرجت للناس قال تعالى : ﴿ **وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ**

جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (٤٨) ﴾ [المائدة] .

وهنا يشير إلى الأمة المتخصصة برسالة الإسلام ، أنزل الله تعالى على محمد ﷺ الكتاب بالحق مصدقاً لما سبق من الكتب ، والتي ما زالت موجودة . ومهيمناً ، أي متعالياً جامعاً مصححاً لكل أخطاء السابقين ؛ فالحكم أضحى بعد ذلك لكتاب الله وحده القرآن الكريم منبهاً الرسول ﷺ إلى أن لا يتبع أهواءهم ، نتيجة انحرافهم عن جادة الصواب ؛ بل الحكم لله فيما أنزل على محمد ، لكل أمة شرعة ومنهاجاً ، ولكن شرعة الإسلام هي الغالبة المهيمنة على جميع الشرائع . ولو شاء الله لجعل أتباع الأنبياء أمة واحدة ، فالمخاطب هنا (جعلكم) يا محمد أنت وجميع الأنبياء الذين سبقوك أمة واحدة ، ولكن الله تعالى جعل ذلك ليبلوكم فيما آتاكم .. وأنت ومن تبعك استبقوا الخيرات لأنكم أنتم خير أمة أخرجت للناس . ثم مرجع الجميع إلى الله تعالى فينبئهم فيما اختلفوا فيه ــ أو ما كانوا به يختلفون .

قال تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (١٩)﴾ [يونس] . وهذه تتمة للآية السابقة . يكون الناس أينما كانوا أمة واحدة،وجرهم الاختلاف إلى أن يتفرقوا،ولو شاء الله لقضى بينهم فيما اختلفوا فيه ، فأخذهم بضلالهم،وأيد الخيرين منهم ليسودوا في الدنيا، وليقضي الله بينهم بحكمه وعدله ومشيئته .

قال الله تعالى : ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ (١١٨) ﴾ [هود] . مشيئة الله تعالى اقتضت أن لا يكون الناس أمة واحدة ، ولو شاء الله لجعلهم كذلك ولكن إرادته جعلتهم مختلفين ومازالوا مختلفين .

قال تعالى : ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٩٣) ﴾ [النحل] وتؤكد هذه الآية الكريمة أن مشيئة الله تعالى هي ما أراده للناس من الاختلاف ، ولو شاء لجعل الناس أمة واحدة ، ولو كانت أمة واحدة لكانت أمة الخير لكن الله يهدي من يشاء من الناس إلى الصراط المستقيم . وفي المقابل يضل من يشاء ، ويسأل الجميع بعد ذلك عما كانوا يفعلون . والخطاب للرسول ﷺ إيناساً له إن لم يؤمن به الناس ، أو لم يتبعوه ، فيتوجه بالخطاب إليه ﷺ بأنك أنت ومن آمن أو من لم يؤمن لتسألن عما كنتم تعملون .

قال تعالى : ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُنْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ(١٢٠)شَاكِرًا لأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ(١٢١)وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً

obeikandi.com

وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنْ الصَّالِحِينَ (١٢٢) ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنْ الْمُشْرِكِينَ (١٢٣)﴾[النحل] في هذه الآية ١٢٠ ذكر إبراهيم على أنه أمة ، ووردت تفسيرات هذا المعنى كون إبراهيم إماماً لأمة اتبعت ملته الحنيفية ؛ حيث دعا الله تعالى نبيه محمد ﷺ أن يتبع ملة إبراهيم الذي كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين .

قال تعالى : ﴿ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِي (٩٢)﴾ [الأنبياء] جاءت هذه الآية بعد ذكر العديد من الأنبياء إبراهيم ،إسحاق ويعقوب ولده وحفيده ، ولوط ابن أخيه ، ونوح قبله ، وداود وسليمان ، وأيوب ، وإسماعيل بن إبراهيم وقبله إدريس وذو الكفل ، وذا النون (يونس) وزكريا ويحيي وعيسى وأمه عليهم السلام جميعاً هؤلاء الأنبياء هم أمة الإسلام التي سبقت ، والتي أنشأها الأنبياء كل في حدود مسؤولياته وقومه ورسالته . هذه بدايات أمة الإسلام وهي ذات معتقد واحد وهو " التوحيد " ومنهجها واحد ، ورسالتها واحد ، جمعها الله تعالى في كونها أمة واحدة تتلقى الوحي والرسالة من الله رب العالمين ؛ الذي أكد بعد ذلك أن جميع الأنبياء ومن تبعهم ؛ أنهم هم أمة التوحيد ، وهي أمة واحدة والله ربهم أجمعين . قال تعالى : ﴿ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ(٤٣)ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَى كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِقَوْمٍ لا يُؤْمِنُونَ(٤٤)﴾ [المؤمنون] . وردت كلمة (أمَّة) في سياق الحديث عن رسالات الأنبياء السابق لهذه الآية واللاحق بها ، ووردت كلمة (أمَّة) في سياق من عايشوا الرسل فاتبعوهم أو كفروا بهم . ويعني السياقين الأقوام الذين أرسلت لهم الرسالات وبعثت بهم الرسل . وتأتي الإشارة إلى الذين لا يؤمنون فهم المبعدون من رحمة الله جل وعلا .

قال تعالى : ﴿ وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ (٥٢) ﴾ [المؤمنون] .

هذه الآية استكمال للرسل الذين ورد ذكرهم بعد الآيات السابقات ، وذكر منهم موسى وهارون عليهما السلام وعيسى وأمه عليهما السلام ، وهما أصحاب الكتب السماوية ، والناس الذين اتبعوهما مازالوا حتى الآن اليهود والنصارى . والذين سبقوا ، والذين لحقوا من آمن منهم وثبت على إيمانه ؛ هم الأمة الواحدة صاحبة الرسالة الواحدة ، الذين كانوا أمة مسلمة واحدة ، ولكنهم ليسوا هم المعنيين بالخيرية ، إنما هي أمة محمد ﷺ التي وردت صفتها وذكرها في آيات ومواقع أخرى ، ولكن لا يمنع أن يكون أتباع الرسل جميعاً من آمن بهم وصدق وثبت على إيمانه هم أمة الإسلام ؛ التي تلقت من الرسل وحدة الشرائع ، ووحدة الدعوة ، والهدف الواحد للدعوة، وهو توحيد الله تعالى وعدم الإشراك به .

قـال تعـالى : ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنْ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَـذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ (٢٣) ﴾ [القصص] وردت " أمَّة " هنا بمعنى مجموعة من الناس ، وهم الرعاء الذين يردون الماء ليسـقوا مواشيهم وليسوا هم كل أهل هذه القرية " مدين " التي تعيش قرب هذا الماء قال تعالى : ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ (٨) ﴾ [الشورى] وردت هذه الآية تأكيداً على أن الله تعالى شاء أن لا يكون الناس أمـة واحدة ، وجعل الاختلاف بين الأمم قائماً . ومن ثم فإن الله تعالى يدخل من يشاء في رحمته، لكن الظالمين ما لهم من ولي ولا نصير . كما أن هذه الآية وردت بعد الآيات السابقات الدالات على أن الله تعالى قد أوحى إلى الرسولﷺ قرأناً عربياً لينذر أم القرى(مكة) ومن حولها ، ودعـوة الناس للإيمان بالله وباليوم الآخر "يوم الجمع لا ريب فيه " ثم إن الناس فريقان : فريق في الجنـة ، وفريق في السعير .. وتسليته للنبي ﷺ ليبين له أن عليه الإنذار والتبليغ ، والله يتولى بعد ذلك كل أمة بما عملت ، وكل إنسان بما قدم . لكن الظالمين ما لهم من ولي ولا نصير .

قال تعالى : ﴿ وَلَوْلا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِنْ فَضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ (٣٣) ﴾ [الزخرف] .

وردت هذه الآية في سياق ما سبقها من آيات من ذكر إنزال القرآن الكريم على الرسول ﷺ ومجادلة الكافرين له ، وصدهم عن ذكر الله ومجادلته . يأتي الحديث عن إرادة الله تعالى أنه لم يجعل الناس أمة واحدة . وباعتبار أن الكافرين أمة ، والمسلمون أمة ، فإن الله تعالى لـو شـاء لجعـل للكافرين سقفاً من فضة لبيوتهم ، ومعارج مدارج (أدراج) يصعدون عليها من فضة ، ولأعطاهم من النعيم الكثير لأن الدنيا ليست في ميزان الله تعالى شيئا . ولكن الله تعالى خفف عن المسـلمين بأن ساوى بين الناس تقريباً ؛ إلاّ بعض العلو بالغنى وليس بأشياء أخرى . بل المؤمنون في علـيين والكافرون بجهنم حطبا .

وردت كلمة (أمَّة) في القرآن الكريم تسع مرات ، ولا يختلف مفهومها عما سـبق وعمـا سيلحق . ولكن ورودها في موقع الإعراب جاءت بالضم دون الفتح أو الكسر .

قال تعالى : ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَـانُوا يَعْمَلُونَ(١٣٤) ﴾ [البقرة] الأمة في هذا السياق هم ذرية سيدنا إبراهيم عليه السـلام ووصـيته لحفيده يعقوب متجاوزاً ولده إسحاق ، ثم وصية يعقوب عليه السلام لبنيه بعد أن جمـع شملـهم ونزع الله كيد الشيطان من قلوبهم ، والتقوا بأخيهم يوسف ، فكانت هذه الأمة المؤمنة بينـها الله

تعالى . وهذه الوصية جاءت بعد دعاء إبراهيم عليه السلام وإسماعيل للأمة التي هي ستكون خير أمة أخرجت للناس في سياق الآيات الكريمة .

قال تعالى : ﴿ **تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ** (١٤١)﴾ [البقرة] تكرار الآية بنصها جاء بعد ذكر اختلاف اليهود والنصارى ، ودعوة كل منهم إلى دينه . لكن الله أمر العودة إلى ملة إبراهيم ، إلى دين الإسلام الحنيفية التي جاء بها إبراهيم ، والدعوة للإيمان بما أوتي النبيون بعد إبراهيم عليه السلام وهي : ﴿**صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ** (١٣٨)﴾ [البقرة] وجر اختلافهم إلى جذب كل نبي إلى ملتهم، خاصة ذكر من سبق إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط الذين كانوا كما ورد في الآية السابقة على ملة إبراهيم عليهم السلام جميعاً . وهي الأمة التي خلت . الأمة المؤمنة بهؤلاء الأنبياء .

قال تعالى : ﴿ **وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنْ الْمُنْكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمْ الْمُفْلِحُونَ** (١٠٤)﴾[آل عمران] جاءت هذه الآية بعد ندائين للذين آمنوا ، ينهاهم الله تعالى عن طاعة أهل الكتاب ، كما يأمرهم بتقوى الله حق تقاته والعيش في هذه الدنيا مؤمنين ، ولا يموتون إلا وهم مسلمون وبعد هذه الآية وقبلها ذكر الأمة الخيرة ، وهنا يأمر الله تعالى المسلمين أن تكون منهم أمة ؛ أي فريق من الدعاة يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويدعون إلى الخير والفلاح بإذن الله ، وهم الذين استكملت صفاتهم المطلوبة ليكونوا هم خير أمة أخرجت للناس ، بعيداً عن مواقف أهل الكتاب الذين يريدون أن يصدوا المسلمين عن ذكر الله ، وعلى نفس النسق ، التذكير بأن طاعة أهل الكتاب ؛ أو حتى فريق منهم يقود إلى الضلالة ، ويقود إلى البعد عن أوامر الله تعالى ، واتباع طرق الضلال التي سلكها أولئك . ولكن هل كل أهل الكتاب على هذا المسار ؟ بل إن بينهم ومنهم أمَّة قائمة يتلون آيات الله ، ويبتعدون عن الضلالة والغواية كما عرفهم الله تعالى فقال : ﴿ **لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ**(١١٣)**يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنْ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُوْلَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ**(١١٤)**وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ**(١١٥)﴾ [آل عمران] ويأتي التوضيح والتأكيد لهذه الآية في آيات أخرى على أن أهل الكتاب ليسوا جميعاً على ضلال ، منهم أيضاً " أمة مقتصدة " ولكن هذه الأمة تبقى قليلة ؛ قياساً على الضلال الذي سلكه أكثر أهل الكتاب يقول الله تعالى : ﴿ **وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ** (٦٦) ﴾ [المائدة]ويبين الله تعالى أن من أهل الكتاب أناس

obeikandi.com

قليلون ثبتوا على إيمانهم ، أو أنهم آمنوا بما نزل على الرسول ﷺ ، وأطلق الله تعالى عليهم لفـظ الأمـة أيضاً ، ومن أهل الكتاب فئات مؤمنة ، ولكن هذه الفئة القليلة ليست على مستوى الأمة التي تقيم دين الله ، لتنال شرف كونها خير أمة أخرجت للناس . قال تعالى : ﴿ **وَمِـن قَـوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ** (١٥٩) ﴾ [الأعراف] ومن جهة أخرى فإن هناك طوائف من أهل الكتاب قد أضلت وضلت عن طريق الحق ، فنالها لعنة من الله تعالى وتلعن كل أمـة من يأتي بعدها أو يسبقها قال تعالى ﴿ **كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا** ﴾ [الأعراف : ٣٨] .

ومن بنى إسرائيل الذين كثر فيهم الضلال والفساد وتكذيب الأنبياء وقتلهم ، ومع ما أنعم الله عليهم من نعمه الكثيرة ، إذ أخرجهم من العبودية ، وأهلك أعداءهم ، وبعـد أن كثـر فـيهم الضياع؛ عرف كل أناس منهم مشربهم ، وأنزل عليهم المن والسلوى ، بعد كل هذه النعم فـإن كثيراً منهم قد خبث مقصدهم ، وخبثت أعمالهم ، فذكر الله طائفة منهم مؤمنة يئسوا من إصلاح حالهم ، وردهم إلى الصواب ، وإبعادهم عن الظلم . فذكر الله تعالى هذه الفئة المؤمنـة منـهم ووصفها بأنها أمة . قال تعالى : ﴿ **وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ**(١٦٤)**فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ**(١٦٥)﴾ [الأعراف] .

والطائفة المؤمنة قائمة في كل زمان ومكان ، ولم نصل إلى فهم حقيقة تعبير كلمة الأمـة – خاصة الأمة المؤمنة – سواء أكانت كبيرة أم صغيرة ، فإن هذه الأمة تقوم على طاعة الله والتمسك بأمره والبعد عن نواهيه . الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ؛ مع الإيمان لتكون بعد ذلك تلـك الأمة الخيرة المتميزة ، خير أمة أخرجت للناس . قال تعالى : ﴿ **وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لا يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمْ الْغَافِلُونَ** (١٧٩) **وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَـا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** (١٨٠) **وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِـالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ** (١٨١)﴾ [الأعراف] .

وردت كلمة أمة بمعنى حزب أو فئة أو جماعة بقوله تعالى : ﴿ **وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُـمْ أُمَّـةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ** (٩٣)﴾ [النحـل] ﴿**وَلا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ**﴾ أفسدت ﴿**غَزْلَهَا**﴾ ما غزلته ﴿**مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا**﴾ إحكام له وبرم ﴿**أَنكَاثًا**﴾ حال جمع نكث وهو ما ينكث أي يحل إحكامه وهي امرأة حمقاء من مكة كانت تغزل طول يومها ثم تنقضه.﴿ **تَتَّخِذُونَ**﴾ حال من ضمير تكونوا : أي لا تكونوا مثلـها في اتخـاذكم

obeikandi.com

﴿دَخَلاً﴾ هو ما يدخل في الشيء وليس منه أي فساداً أو خديعة ﴿ بَيْنَكُمْ﴾ بأن تنقضوها ﴿أَنْ﴾ أي لأن ﴿ تَكُونَ أُمَّةٌ﴾ جماعة ﴿ هِيَ أَرْبَى﴾ أكثر ﴿ مِنْ أُمَّةٍ﴾ وكانوا يحالفون الحلفاء فإذا وجدوا أكثر منهم وأعز نقضوا حلف أولئك وحالفوهم ﴿ إِنَّمَا يَبْلُوكُمْ﴾ يختبركم ﴿اللَّهُ بِهِ﴾ أي بما أمر به من الوفاء بالعهد لينظر المطيع منكم والعاصي أو تكون أمة أربى لينظر أتفون أم لا : ﴿وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ في الدنيا من أمر العهد وغيره أن يعذب الناكث ويثيب الوافي [1] .

كما أن كلمة " أمَّة " وردت في موضع الجر أربعا وعشرين موضعاً . جميعها تعني مجموعة من الناس يتفقون في معتقداتهم وحياتهم ؛ عدا بعض المواضع التي جاء معناها زمن معين ، والأخرى معتقد معين . كما تكرر ذكر بعض الآيات توكيداً وتأكيداً على معناها . والأهم من هذا هو ذكر " الأمَّة الخيرة " التي نحن بصدد الحديث عنها ، والتي أعطاها الله للقوم المؤمنين المسلمين أتباع محمد ﷺ ؛ نافياً كونها في جميع ما سبق ؛ إلاّ بعض الجماعات الصغيرة التي اتبعت الرسل ، وآمنت بالله ، لكنها لم تتمكن من التطلع إلى المستقبل الذي أعده الله ليخص به محمدا ورسالته وقرآنه وأتباعه قال تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ (١٠٩) كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ (١١٠) لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلاَّ أَذًى وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الأَدْبَارَ ثُمَّ لاَ يُنْصَرُونَ (١١١)﴾ [آل عمران] .

إن الموضوع كله يدور حول هذه الأمة التي وصفها الله بالخيرية ، بعد أن بين في المواضع المختلفة تعريفات الأمة ، والتي قاربت فئات مؤمنة من أن تكون هي الموصوفة بالخيرية ، لكنها هنا يتوضح بجلاء وصفاء مكنون الأمة التي كانت وستكون وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها خير أمة أخرجت للناس . بإرادة الله تعالى وبقدره ، وبما تحلت به هذه الأمة من أوصاف الخيرية التي من أجلها خصها الله تعالى بأن تكون خير أمة في الماضي ، وخير أمة في الحاضر ، وخير أمة في المستقبل ، أخرجت للناس جميعاً على اختلاف مواقعهم ، واختلاف مشاربهم ، واختلاف انتماءاتهم الفكرية والبشرية في التاريخ كله .

هذه الأمة المكلفة منذ أن وقع الاختيار عليها في زمن بعثة النبي ﷺ ، واستمراريتها على مدى التاريخ وطوله ، وانخراط أجناس البشر فيها على اختلاف مواقعهم ، ومساهمتهم الطيبة في استمرارية الخير في هذه الأمة،مكلفة بأمور يجب أن لا تغيب عن البال،الإيمان واستمرار صفاء

---

(١) انظر : تفسير الجلالين — دار الهجرة — دمشق ١٩٨٧ ص ٣٦٤ .

الإيمان ووحدانية الله تعالى والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر،حتى تبقى الخيرية صفة ملازمة للمسلمين في جميع أقطار الدنيا. قد يجمع المسلمون على أمرٍ وقد يختلفون،لكنهم على أي حال من الأحوال بمجرد الانتماء إلى الإسلام والعمل بهذا الدين، والدعوة الصادقة لهذا الدين فإن الخيرية لأمة الإسلام المعنية بهذا ؛ والذي أتينا وسنأتي على ذكر حالها ، لها هذا الفضل من الله ، ولها هذا التميز على خلق الله ، ولها العاقبة والتقوى للمؤمنين منها والمخلصين مجتمعين أو متفرقين . قال تعالى :

١- ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُنْ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا(٤٠)فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلاءِ شَهِيدًا(٤١)يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوْا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمْ الأَرْضُ وَلا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا(٤٢)﴾ [النساء].

٢- ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ(٨٩)إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنْ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ(٩٠)﴾ [النحل] .

٣- ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِي الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ(٧٤)وَنَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ(٧٥)﴾

[القصص]

إن الله تعالى سيأتي بشهيد على كل أمة يوم القيامة ، وهذا الشهيد هو الذي سيشهد على تلك الأمم بأن الله تعالى قد أرسل رسله للناس ليهديهم سواء الصراط ، وفي سورتي النساء والنحل ؛ فإن الله تعالى سيأتي بنبينا محمد ﷺ شهيداً على هؤلاء الشهداء ، بأنه آمن وأمر المؤمنين بالإيمان بهم وبكتبهم وخاتمتهن ، وبأن المسلمين أتباع محمد ﷺ قد وعوا جميع الرسالات ؛ لأنهم حملة آخر الرسالات وخاتمتهن . فالنبي ﷺ هو الشهيد على الأمم جميعاً ، إذ أنه سيكون شاهداً على شهدائهم ، يبين أنه أدى الرسالة وحمل الأمانة ، وبلغ الناس جميعاً ما أمره الله تعالى بشهادة الشهداء - والأنبياء والأوفياء ، الذين حملوا مع الأنبياء والرسل ما ائتمنوا عليه من دعوة ومن تبليغ لأوامر الله تعالى ونواهيه . وهنا يتأكد أن هؤلاء الشهداء سيبلغون من انحرف عن نهجهم وإنكار نبوة محمد ﷺ وبأنه خاتم النبيين وإمام المرسلين وسيد الناس أجمعين . ولقد زين الله تعالى للناس أعمالهم ، وكل أمة كان لها عمل يختلف عن الأخرى ، أو يتفق معها في قضايا الإيمان ، أو قضايا الكفر ، وكل أمة من الأمم عملت عملاً معيناً فاستحقت الثواب على عمل الخير الذي عملته ، واستحقت العقاب على ما فعلت - أمم الضلالة - من أعمال انحرفت بها عن جادة الصواب أو

كذبت الرسل الذين اختارهم الله تعالى شهداء على أممهم . أكد تعالى على المؤمنين المسلمين بألا يخوضوا في شتائم مع الذين كفروا ، والذين يدعون للضلالات والشرك ، حتى لا يرد هؤلاء على المؤمنين بأن يسبوا الله عدواً بغير علم .

قال تعالى : ﴿وَلا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٠٨)﴾ [الأنعام] وفي آيات أخرى بين الله تعالى أن لكل أمة أجلا ، تنتهي هذه الأمم مع أعمالها مهما بلغت من القوة والجبروت والطغيان والسيادة ، فإن أجل هذه الأمم آت ؛ بعضها ينتهي ويزول كما في الأمم السابقة والإمبراطوريات الكبيرة في التاريخ القديم ، وبعضها قريب العهد كما عايش الناس سقوط هذه الأمم إذا جاء أجلها ، كما أن الأمر مؤكد في مسار التاريخ : ﴿ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ (٣٤) ﴾ [الأعراف] وهذه عبرة للناس والحكام على أن لا يبطروا ولا يظلموا ، ولا يسوسوا الناس بغير العدل ، إلاّ الأمة الخيرة التي تكفل الله تعالى بحفظ دستورها ، ونصرها على مدار التاريخ ، والتي راهن الكثيرون على انتهائها واندثارها كغيرها من الأمم ، لكن الله تعالى معها ينصرها من بعد ضعف ، ويعيدها إلى أمجادها بعد تخلف . حتى يبقى الخير باد في سلوكها ، في علوها ، وفي خلافتها لله في الأرض ، قال تعالى : ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ (٣٤) ﴾ [الأعراف] .

وقال تعالى : ﴿ لا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلا نَفْعًا إِلا مَا شَاءَ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ (٤٩) ﴾ [يونس] .

وقال تعالى : ﴿ وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ (٤) مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ (٥) ﴾ [الحجر] .

وقال جل وعلا : ﴿ ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قُرُونًا آخَرِينَ (٤٢) مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ (٤٣) ﴾ [المؤمنون] .

وحتى لا يكون للناس حجة أمام الله تعالى يوم الحشر ؛ فقد أرسل الله تعالى لكل أمة رسولاً من أنفسهم يبين لهم هدى الله ويدعوهم لعبادة الله تعالى ، وينذرهم عذاب يوم عظيم قال تعالى : ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ (٤٧)﴾ [يونس] .

وقال تعالى : ﴿ كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لِتَتْلُوَ عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لا إِلَهَ إِلا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ (٣٠)﴾ [الرعد] .

وقال جل من قائل : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولا أَنْ اُعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ (٣٦) ﴾ [النحل] .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلا خلا فِيهَا نَذِيرٌ (٢٤) ﴾ [فاطر] .

وقال تعالى : ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ (٥) ﴾ [غافر] .

كما أن حكمة الله قد وردت بمعنى زمن محدد ، ومعنى مرور وقت هذه الأمة ، أو ملازمة الوقت لأمة محددة ذات خصائص معينة .

قال تعالى : ﴿ وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ لَيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ أَلا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُون (٨) ﴾ [هود] .

وقال تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ (٤٥) ﴾ [يوسف] .

والله تعالى قد أعطى كل أمة من الأمم على لسان رسولها الذي أرسل إليها طريقاً ومسلكاً لعبادة الله . وجمع بينهم في أمور ، وفرق بينهم في أمور . أمر الجميع بالصلاة بطريقة معينة وأمرهم بالصيام : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمْ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٨٣)﴾ [البقرة] .

وبذلك فإن الأمم مطالبة بتطبيق ما أمر الله تعالى به من عبادته جل وعلا،فقد أحل للبعض نتيجة ظروفهم وحياتهم أموراً،حرمها على أمم أخرى،وذلك بما يتناسب مع بيئة الأمة ومحيطها وتحدياتها ، سوى في القصاص ببعض الأمور وخفف فيها عند أقوام آخرين. لكن المبدأ الرباني الثابت هو الدعوة لتوحيد الله وعدم الإشراك به ؛ مبدأ نادى به جميع الأنبياء والرسل . كما أن هناك قضايا واضحة :حرم الزنا ، وحرم القتل ، وحرم الشرك ، وحرم قتل النفس .. وهي نسك معروفة بالضرورة لكل أمة من الأمم قال تعالى : ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الأَنْعَامِ فَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرْ الْمُخْبِتِينَ (٣٤) الَّذِينَ إِذَا

ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِ الصَّلاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (٣٥)﴾ [الحج] .

وقال تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ الإِنسَانَ لَكَفُورٌ (٦٦) لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلا يُنَازِعُنَّكَ فِي الأَمْرِ وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَى هُدًى مُسْتَقِيمٍ (٦٧) وَإِنْ جَادَلُوكَ فَقُلْ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ (٦٨) اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (٦٩)﴾ [الحج] .

والذين كفروا من أتباع الرسل حيث الإشارة إلى أن الفوج هو جزء من الأمة ، والفوج هنا هم الذين لم يطيعوا الرسول من أمته ليحاسبهم الله تعالى على تكذيبهم . والأمة هنا هم المؤمنون الذين اتبعوا الرسول إلاّ ما ضل من فوج منهم .

قال تعالى ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ (٨٣) حَتَّى إِذَا جَاءُوا قَالَ أَكَذَّبْتُمْ بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٨٤) وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لا يَنطِقُونَ (٨٥)﴾ [النحل] .

ووردت كلمة أمة بمعنى مبدأ وعقيدة . وهذا المعنى أي أن الأمة التي وردت بهذا المعنى ـ كعقيدة ـ أي عقيدة الأمة ، وحذفت كلمة المعتقد واستعيض عنها بكلمة الأمة ؛ إذ أن الذين سئلوا عن معتقدهم قالوا : إنا وجدنا آباءنا على أمة ، أي على منهج ومعتقد فاتبعناهم على ملتهم ومنهجهم ومعارفهم التي كانوا عليها .

قال تعالى : ﴿ أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا مِنْ قَبْلِهِ فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ (٢١) بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ (٢٢)وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ (٢٣) قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ (٢٤) فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ (٢٥)﴾ [الزخرف] .

وأخيراً وردت كلمة أمة بالمعنى المقصود منها كونها مجموعة من الناس متفقين بالمكان والزمان والمعتقد ، وتدعى تلك الأمم إلى كتابها الذي أنزل عليها ليكون فيصلاً في حسابها يوم الحساب قال تعالى : ﴿ وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ(٢٨)هَذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ(٢٩)﴾ [الجاثية].

والله أعلم بما تحمل هذه الكلمات من معانٍ ، لكنها على عمومها تعني ما عرفه علماء العربية من أن الأمة : هي مجموعة من الناس تتفق بزمان أو مكان أو معتقد واحد .

ذكر أمة الإسلام في هدي
باني خير أمة أخرجت للناس

لم يكن العهد المكي مؤهلاً لبناء دولة الإسلام،فقد كان هذا العهد هو بناء الرجال الذين سيحملون عبء المسيرة بأمة الإسلام بعد وفاة الرسول ﷺ . ويمكن اعتبار العهد المدني هو العهد الذي بنيت فيه خير أمة أخرجت للناس؛ فما أن وصل الرسول ﷺ إلى المدينة فتلقاه بها أهلها بالترحاب مؤمنهم وكافرهم وكذلك بعض من يهود، والمهاجرون الذين سبقوهﷺ إلى المدينة،بدأ بالبناء فوراً ودون تأخير أو تأجيل، أو مراعاة للتحديات التي نشأت في المدينة بعد وصوله ﷺ ، عندما أعلن اليهود العداوة باستثناء بعض منهم – عبد الله بن سلام وصحبه – وكذلك ولدت بذرة النفاق بزعامة عبد الله بن أبي ، الملك غير المتوج للمدينة ، وتأخر إسلام بعض سكان المدينة من العرب ، وكذلك الأعراب المحيطون بالمدينة .

سارع النبي ﷺ لبناء دولة الإسلام بأمة الإسلام ، فبعد أن بنى مسجده ليكون مقراً لتأدية العبادات ، ولاجتماع شمل الأمة ، ولتدريب وتربية أمة الإسلام ، وليس فقط لبناء أمة ، ولكن لبناء خير أمة . كتب الرسول ﷺ الصحيفة بينه وبين يهود ، والعرب المعاهدين لليهود من الأوس والخزرج ، ووردت في هذه الصحيفة صراحة مفهوم الأمة ، أمة الإسلام ، خير أمة أخرجت للناس والذي أكد تميز أمة الإسلام المؤاخاة _ حيث إن الرسول ﷺ كما قال ابن إسحاق : آخى بين أصحابه من المهاجرين والأنصار [1] . والمؤاخاة هو جمع المسلمين جميعاً ليكونوا هم الأمة الموحدة التي أصبحت تجمع كل من قال : لا إله إلا الله محمداً رسول الله ، بعيداً عن الروابط السابقة التي كانت تربط الناس من القبيلة والعشيرة والموالاة والعبودية . فقد كانت المؤاخاة عنواناً لتحطيم العرف السائد . فقد آخى بين عمه الحمزة بن عبد المطلب ومولاه زيد بن حارثة ، وآخى بين بلال الحبشي وأبي رويحة عبد الله بن عبد الرحمن الخنثمي ، أخوين ، وآخى بين سلمان الفارسي وأبي الدرداء عويمر بن ثعلبة أخو بلحارث بن الخزرج أخوين ، وهكذا ذابت كل الروابط السابقة التي كانت تربط الناس ، واستجدت رابطة جديدة لتميز المسلمين عن سواهم وهو كون الأمة

---

(١) آخى رسول الله ﷺ بين أصحابه حين نزلوا المدينة ، ليذهب عنهم وحشة الغربة ويؤنسهم من مفارقة الأهل والعشيرة ، ويشد أزر بعضهم ببعض ، فلما عز الإسلام واجتمع الشمل وذهبت الوحشة أنزل الله سبحانه : ﴿ وَأُوْلُوا الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ أعنى في الميراث ثم جعل المؤمنين كلهم أخوة فقال تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ يعني في التواد وشمول الدعوة . سيرة ابن هشام – دار المنار ، القاهرة ط٢ (١٩٩٣) المجلد الثاني ص ٤٤٩ .

obeikandl.com

جميعاً مؤلفة من إخوة في الإيمان : ﴿ **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ** ﴾ . فكانت هذه المؤاخاة تشكيلاً كاملاً لعنصر جديد يخاطب النبي ﷺ باسمه الناس كما سيرد في الصحيفة . ونقتطف بعضاً من هذه الصحيفة تدليلاً على غير المسلمين عن سواهم من الناس ، وعن اليهود خاصة فأصبح الكلام عن أمة المسلمين .

قال ابن إسحاق : وكتب رسول الله ﷺ كتاباً بين المهاجرين والأنصار وادع فيه يهود وعاهدهم ، وأقرهم على دينهم وأموالهم ، وشرط لهم ، واشترط عليهم .

بسم الله الرحمن الرحيم : هذا كتاب من محمد النبي بين المؤمنين والمسلمين [1] من قريش ويثرب ، ومن تبعهم فلحق بهم ، وجاهد معهم : إنهم أمة واحدة من دون الناس المهاجرون من قريش على ربعتهم يتعاقلون بينهم (المعاقل : الديات) وهم يفدون عانيهم (أسيرهم) بالمعروف والقسط بين المؤمنين ، وبنو ساعدة ... وبنو حيثم ... وبنو الحارث ... وبنو النجار ... وهكذا شمل الكثير من العشائر .

وبعد ذلك القول : ولا يحالف مؤمن مولى مؤمن دونه ، وإن المؤمنين المتقين على من بقي منهم أو ابتغى دسيعة (الدسيعة : العظيمة) ظلم أو إثم أو عدوان أو فساد بين المؤمنين وإن أيديهم عليه جميعاً ولو كان ولد أحدهم ، ولا يقتل مؤمن مؤمنا ولا ينصر كافراً على مؤمن ، وإن ذمة الله واحدة يجير عليهم أدناهم وإن المؤمنين بعضهم موالي بعض دون الناس ... وإن المؤمنين المتقين على أحسن هدى وأقومه ... إلى آخر الصحيفة [2] وسيرد ذكره تفصيلاً بعون الله تعالى .

هذا ما تمكنا من الوقوف عليه باستخلاص معنى كلمة الأمة ، والمعاني المختلفة أو المتفقة لهذا اللفظ في لغة العرب ، وقد تتشابه بعض التعبيرات في اللغات للدلالة على هذا المفهوم أو قد تختلف، لكن المقصود لكل ما يعنى هذا المعنى هو جماعة من الناس عاشوا في حقبة – تطول أو تقصر – حسب الأعمار التي أرادها الله لهذه الأمم ، وبعضها عاش سنين وبعضها أحقابا وبعضها طال بها الزمن ، ولكن للمعنى المقصود بسيادة الأمم لم تدم إلا أمة الإسلام فكلما خبا نجمها ظهرت من جديد في أجيال وشعوب أخرى ثابتة على مبدأ الإسلام ، باقية مع بقاء هذا الدين الذي تكفل الله تعالى باستمراريته وبقائه إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، عاشت أمم كثيرة قبل الإسلام . بعضها ارتبط بالدين كبني إسرائيل ، وبعضها ارتبط بزعامة أو مبدأ أو عبادة ..

---

(١) تكرار أو التفريق بين المؤمنين والمسلمين إنما هو شمول جماعة الإسلام حيث إن كثيراً منهم عرف بالمؤمنين والآخر بالمسلمين . ومع بعض الفوارق في الانتساب إلى الإيمان أو الإسلام بدليل قوله جل وعلا : ﴿ **قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ** ﴾ .. إلى آخر الآيات .

(٢) سيرة ابن هشام ، مرجع سابق ، ص ٤٤٦ فما بعد ببعض التصرف .

وكذلك تحولت دول كثيرة لتدعي ارتباطها بالنصرانية في عصور مختلفة وهي مازالت قائمة لها بعض الخيوط الواهية جداً الآن مع هذا الدين ، بعد أن ساد في مناطق الدولة الرومانية ، والدولة الحبشية ، وبعدها في بعض دول أوربا ، إلى أنه تخلت هذه الدول عن جعل الدين مقومٌ هام من مقومات الأمة أو الشعب أو ما يرتبط به .

لكن الأمة الخيرية التي جعلت الحكم واحداً من أركانها ، قد ارتبطت على الدوام بما وراء الحكم والتسلط ، ويزداد تمسك الأمة بدينها إذا خبا سلطان الحاكم أو زال ، لأن الإسلام هو الدافع القوي الدائم الذي يدفع الناس للذود عن معتقداتهم وممتلكاتهم ، وما وضع الله تحت أيديهم من شؤون الدنيا وأمور الدين ، من هذا المنطلق فإن استمرارية الإسلام وقوة دفعه كان في القرنين الماضيين هدفاً ... اقتتل الناس عليه لضعف أبنائه وتمزقهم ، وبدأ القرن الجديد ليجتمع العالم عليهم هذه المرة ، في تسميات كثيرة أولها : أول حروب القرن ، حيث تكالبت الدنيا للقضاء على الإسلام لحجج القضاء على الإرهاب ، بعد أن ذاقت أكبر قوة في العالم لطمة تعتبر الأشد في تاريخها كله . لقد قدر الله تعالى للأمم أقداراً ، كما قدر للأفراد أقداراً ، فقد سادت أمم وبادت أمم وبقيت أمم واستمرت ، ولكن كلها بعد ذلك إلى أجل . إن التاريخ قد امتلأ أخباراً عن أمم في الماضي وفي الماضي المغرق ، والله تعالى قص علينا قصص بعض الأمم التي سادت ، وقويت وتمكنت منها الفراعنة ، وقوم تبع ، وقوم لوط ، وقوم نوح .. وكثير وكثير ، أرسل الله تعالى لها الأنبياء عليهم السلام لهدايتهم ، وردهم عن غيهم ولكنهم طغوا وبغوا فأبادهم الله بأسباب من قوته ومن قدرته ، فمنهم من أغرق ، ومنهم من أرسل عليهم حاصباً ، ومنهم من خسف بهم الأرض ، ومنهم من أرسل عليهم الرياح . والمتتبع لكتاب الله يجد الأعداد الكثيرة من هذه الأمم ، حتى بني إسرائيل الذين أقاموا ملكاً ، وأقاموا حكماً فضلوا فدمرهم الله تعالى ، وورد خبر تدميرهم في صدر سورة الإسراء ، كما أن الذين عاصروا أمة الإسلام من نشوئها حتى الآن، قد ذهب ريحهم ومضوا ، كالمغول والتتار والصليبيين ، والدول الباطنية التي نشأت متفرقة في أرض الإسلام ، واستغلت بعض تعابير الإسلام للتمكن وإضلال الناس ، كالقرامطة والفاطميين والحشاشين وغيرهم ، واستمرت أمة الإسلام على نهج الله وأمره وسنة النبي ﷺ وصحبه ، ومازالت خير أمة أخرجت للناس باقية مستمرة ، متجددة ، شاملة ، دائمة وستبقى كذلك فهي من صنع الله تعالى وخبره في كتابه إلى جميع خلقه جلّ وعلا .

في العصر الحاضر – وقبل الحاضر – ارتفعت دول وأمم وسادت وتطورت ، ولعلنا نحن رأينا بأم أعيننا انحسار الإمبراطورية البريطانية التي لا تغيب عن ممتلكاتها الشمس ، وقطعت الدنيا شرقاً

وغرباً بعد أن أذن الله تعالى بسيادة لها على البحار ، فلم تبق بلداً ولا موقعاً إلاّ ووجهت إليه أنظارها ، وفي منافسة مشابهة لفرنسا خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر وصوراً من القرن العشرين ، وعادت إلى حدود ضيقة من الأرض رضيت بها ونقلت المشكلات بعد ذلك إلى تلك الأرض ، سبقت بريطانيا وفرنسا إسبانيا والبرتغال ، وعادتا إلى أرضهما مع مشكلات تعاني منها ذات الأرض والوطن .

عايشنا الاتحاد السوفيتي ١٩١٧ – ١٩٩٠ وسقوطه المريع بعد أن كان بعبع العالم يغزو في كل مكان ، ويتخطى الحدود والدول ، وينشأ له في كل بلد أحزاب ومؤيدون ، ويحارب في جميع أرجاء الدنيا للسيادة والاستمرار ، ولكن سقط بأتفه الأسباب وأقلها ، وعاد كل قوم إلى ما كانوا عليه قبل هذا التمدد الذي استهلك ملايين البشر ومن المسلمين خاصة ، وفي ظل الاتحاد السوفيتي قتل نيف وخمس وعشرون مليون مسلم ، إما بالحروب الجماعية ، أو الفردية ، أو عند الاحتلال والحكم . وذهب الاتحاد السوفيتي ومنظروه يضعون الخطط لمقابلة أعدائه ، واجتياح الشعوب التي لم تعتنق الفكر الشيوعي الذي كان طريقه لحكم العالم .

وسقطت أمم وسادت أمم ، وفي كل سيادة أو سقوط كانت الحروب والدماء والدمار ، وما زالت أمة الإسلام تتصدر الوجود الإنساني ، ويقوم المسلمون هنا وهناك مطالبين بالخلاص من آسريهم الذين كانوا حراساً أشداء حتى فترة من الزمن ، لكنهم تحولوا إلى احتواء العملاء من الحكام والذين ساروا في طول أرض الإسلام وعرضها .

مازال الصراع قائماً بين الأمم والشعوب ، فلم تنته المشكلة ، فما كان يحويه اتفاق فإنه الآن قد انقلب إلى عداوة ، وما عاش على عداوة في الماضي عاد يشكل تحالفات الآن في سياسة دولية متناحرة ، متعادية ، يضرب بعضها رقاب بعض ، ومازال الإنسان يخترع من أسلحة الفتك والدمار ما فاق إمكانية تدمير الدنيا ، بل ربما يكفي لغزو كوكب آخر وتدميره . وانحسار هذه الأسلحة والأدوات في أيدي الأقوياء الذين يتناوبون على حكم العالم ، وخروجها في أحايين كثيرة لدى الضعفاء والمتخلفين من بني الإنسان ، لتسود الأمم الضعيفة وتهن القوى العظمى بإرادة الله تعالى ومشيئته ، فقد قدر للأمم أقدارها كما قدر للأفراد وللمخلوقات على اختلافها أقدارها .